الفنون الشعبية

مجلة فصلية تعنى بالتراث الثقافي غير المادي
تصدرها وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية

ملف العدد: الأدب الشعبي

العدد: 24 صيف 2018



ملف العدد: الأدب الشعبي

الفنون الشعبية
ملف العدد: الأدب الشعبي
العدد: 24 صيف 2018



الفنون الشعبية
مجلة فصلية تعنى بالتراث الثقافي غير المادي
تصدرها وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية





افتتاحيّة العدد

على الرغم من انسيابية الثقافة وجريانها كالماء، مما يفرض عليها حتمية التغير والتشكل والاستمرار، فإن عناصر التراث الثقافي غير المادي اللامتناهية في عددها لدى أي مجتمع أو مجموعة تختفي وتزول ويظهر غيرها، إلّا أن كَمًّا لا بأس به من عناصره الجوهرية يبقى ماثلاً فيه، وعلى الرغم من ذلك، فإن اختفاء مُكوِّن ما لعنصر تراثي قد يسبب مشكلة أو معضلة فيما يتعلق بهوية حَمَلَةِ ذلك العنصر إذ يحل محلة آخرٌ، وعادة ما يكون هذا الطارئ غير متجذر في الثقافة ذاتها، وخاصة في ضوء ما تتيحه العولمة من تسهيلات كثيرة، وما تؤديه من استنباط لمكونات وعناصر ثقافية جديدة، والتي قد يعدُّها المنتمون إلى المجتمعات التقليدية، دون قصد، جزءاً من ثقافتهم، وربما نستسيغ ذلك فنقبله، ولكن بشرط أن يعي الجيل الجديد فيها أن ذلك العنصر الدارس كان جزءًا من تراثهم الثقافي ويخصُّهم، دون اعتبار للثقافة الطارئة على أنها خاصة بهم، فالموسيقى العربية مثلاً بدأت تزول تدريجياً بعناصرها المكونة لها، في حين بدأت الأنماط الغربية بإقصائها، وفي هذا السياق يمكن القول بأن الحذر واجب فيما يتصل بإدارة هذا التراث، إذ لا يمكن ترتيب عناصره وتبويبها كالجرار الفخارية في المتاحف، فهو يمثل حالةَ اندماج لعناصر فكرية وعاطفية وتفاعل بين الخبرات المادية التي يحكمها الزمن بتغيراته وتقلباته. لذافإنه يتوجب على خبراء التراث الثقافي غير المادي توخي الحيطة في هذا المضمار، فهم يفكرون ملياً ويملكون المعرفة، في حين أن الناس الأوصياء على هذا التراث يشعرون ويعتقدون فينتجون تراثاً متبايناً بتباين اللحظة، ومختلفاً باختلاف الأزمان والأمكنة.

لا بد أن نعي نقطة هامة جداً ألا وهي أننا لا نستطيع أن نتتبع جذور عناصر التراث الثقافي غير المادي التاريخية، كما هو الحال في نظيرها المادي، حيث أن عناصر التراث غير المادي كما هو معلوم عملية تحيا بالامتلاك المستمر والانتقال الدؤوب عبر الأجيال، فتغيُّره المستمر واحد من خصائصه، فإذاكان لا بد من صون عنصر ما فإنه من الصعب إقرار أي صيغة أو شكل من صيغة أو أشكاله يجب صونها، فهل يُصانُ ذلك العنصر بحالته التي كان عليها عندما تم إقرار توثيقة، وبهذا الحال فإننا نكون قد سجلنا أو وثقنا ذلك العنصر في لحظته التي تَمَثَّلَ فيها دون اعتبار لماضيه أو مستقبله أو حاضر أشكاله الأخرى، ويقودنا ذلك إلى القول بأن كل ممارس لعنصر تراثي يعرض مادته بشكل مختلف عن الآخر، فإذا ما تم تسجيله أو تسميته بصيغة أحادية، أي دون انتباه للأشكال الأخرى لنفس العنصر، فإننا نقع في معضلة أخرى، وهي أن الأشكال الأخرى المختلفة لنفس العنصر لن يتم الاعتراف بها أو العناية بها كالشكل الذي ترغب الجهات المعنية في حمايته ووضع الخطط لصونه، وبهذه الحالة، فان الجيل الجديد لن يعي إلا ذلك العنصر الذي تم تسجيله، فلا يعود لأشكال العنصر الأخرى وجود مع تسارع الاختفاء، لذا فإن نفس القدر من الأهمية يجب أن يُعْطى لكل أشكال العنصر الواحد.

يلعب الشباب واليافعة دورا هاما في نقل التراث وتفعيله، على الرغم من معرفتنا اليقينية بأن إهمال الشباب لتراثهم يعزى إلى عدم ترويج هذا التراث وأهميته على الصعيدين الرسمي والخاص، وانصرافهم إلى كل ما هو عصري، وتهميش التراث نتيجة لعولمة الثقافة والتطور السريع في عصر المعلومات. وهذه واحدة من أخطر المشاكل، لأن استمرار الشباب والصبية على ما هم عليه الآن سيؤدي إلى اندثار هذا التراث على المدى المنظور، فلا بد إذا من تشجيع الشباب على الاهتمام بالتراث الثقافي غير المادي، وخاصة في ظل فقدانهم لثقافاتهم المحلية بسبب توحيد أو مقايسة القيم الثقافية، والتي كان سببها طبعا محتويات وسائل الإعلام، وكذلك تأثير السياحة الجماهيريةالتي يصعب السيطرة عليها.

تناول هذا العدد ألوانا مختلفة من مجالات التراث الثقافي غير المادي رصدت فيها طائفة من الأمثلة العناصر التي تشكلت وتلونت وتحولت وخضعت لإبداع المجتمعات، نحو الأدب الشعبي؛فمن المعروف أن المجتمعات ترمي بجذورها في عصور مغرقة في القدم،إذ طوَّرت مع مرور الزمن إبداعات أدبية مختلفة بقيت متداولة على ألسنة الناس، فأخذه المختصون بالاعتبار نظراً لأهميته في إغناء التراث الثقافي غير المادي لمجتمع أو جماعة ما، ويزودنا هذا الضرب من التراثيات بنافذة جمالية مصوَّرة، تكشف الثقافة، ونظرتها للحياة والعالم، وقيَمها، ومعانيها الجمالية، وتخيّلاتها. أحتوى العدد إضافة إلى ذلك أبوابًا غنية دارت موضوعاتها حول العادات والتقاليد، والمهارات الحرفيّة، وكذلك المعتقدات الشعبية، كما طُرحت آراء مختلفة حول طائفة من قضايا تتصل بعناصر بعينها من التراث الثقافي غير المادي، وتضمّن العدد حديثا عن دارة الفنون في عمان، ودورها في استدامة التراث الثقافي الأردني والعربي، واحتوى كذلك مراجعة ثرية لكتاب حول الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي.

إن المطلع على أعداد هذه المجلة يجد بما لا يدع مجالا للشك أنها تجاوزت في طرحها وموضوعاتها البعد المحلي الذي يتصل بالتراث الثقافي غير المادي في المملكة الأردنية الهاشميةإلى نشر مساهمات دبَّجتها أقلام باحثين من العالم العربي، فنجد هذه العدد يزخر بمواد من المغرب والجزائر وفلسطين والسعودية، مما يعمل على رفع سويتها إلى مصاف المجلات العالمية.

رئيس التحرير: هاني فيصل هياجنه



الفنون الشعبية

مجلة فصلية تعنى بالتراث الثقافي غير المادي وقضاياه
وتصدرعن وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية

العدد 24 صيف 2018

رقم الإيداع لدى
دائرة المكتبة الوطنية الأردنية
٨٦٧ / ٢٠١٨ / د

المملكة الأردنية الهاشمية - وزارة الثقافة

مجلة الفنـــون الشعبيـــــــــــة

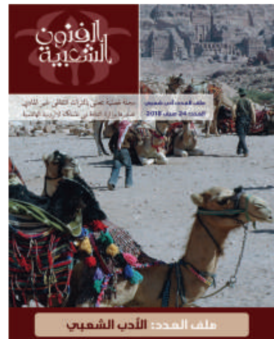
قواعد النشر في المجلة وأحكامها

1. مجلة «الفنون الشعبية» فصلية ترحّب بالأبحاث والمقالات المختصة بالتراث الثقافي غير المادي في الأردن، والوطن العربي، وباللغتين، العربية والإنجليزية.
2. تُرسل الموادّ إلى البريد الإلكتروني (أدناه)، على هيئة ملفٍ مرفق، مطبوعةً إلكترونيًا (MS-Word) ، ويُفَضَّل ألّا تزيد المادة المُراد نشرها عن 3000 كلمة، بما في ذلك الحواشي، على أن تُرفَق كلّ مساهمةٍ بملخّص لا يزيد عن 100 كلمة، لكي يُترجم بعدها إلى اللغة الإنجليزية، أو العربية إذا كانت المساهمة باللغة الإنجليزية.
3. تُرسل الأشكال والجداول والرسومات والخرائط والنوتات الموسيقية والصور أو غيرها من الأشكال التوضيحية، بما يتناسب مع موضوع البحث، موثّقة وِفقَ أسس التوثيق العلمي الذي يُراعي حقوق الملكية الفكرية، على أن تُرقَّم على التوالي حسب ورودها في البحث، وتُزوَّد بعناوين وشروحات، ويُشار إلى كلّ منها بالتسلسل نفسه في متن البحث، وتقدّم على ورقة منفصلة. وتُفضِّل المجلةُ الصورَ الرقميّة الأصليّة والجديدة بدون معالجة على أن تكون ذات دقةٍ تصويرية عالية (300 dpi/inch على الأقل)، ويتحمل الباحث مسؤولية حقوق الملكية الفكرية لمثل هذه الصور وسائر المواد التوضيحية، إلا إذا ارتأت هيئة التحرير إضافة غيرها إلى المادة.
4. أوّليّة النشر في المجلة تكون للمجالات الـمُستكتب بها، علما بأن المجال مفتوح لكل المساهمات المعنية بمجالات أخرى من التراث الثقافي غير المادي.
5. أن تُعتَمد الأصول العلمية المعروفة من حيث طريقة التناول والإحالات إلى المراجع، وترتيبها ألفبائيا، على أن تُدرج الهوامش في ذيل البحث أو المساهمة. كما يشار إلى المصادر الشفهية، ويذكر اسم الإخباري أو الراوي، واسم العمل الميداني، مع الإشارة إلى الوعاء الذي وُثِّقت فيه المادّة إن وجد، ومكان الجمع وتاريخ، وذلك احترامًا لقوانين المُلكيّة الفِكريّة.
6. تقوم هيئة التحرير بإخضاع المواد المُرسَلة للتقييم، ولن تعاد إلى كاتبيها في حال الاعتذار عن النشر، كما أن المجلة ليست مُلزمة بإبداء أسباب الاعتذار. وسيُبَلَّغ الكاتب بوصول مادته للمجلة خلال شهر، وبرأي هيئة التحرير بالقبول أو الاعتذار بعد التقييم والعدد الذي ستنشر فيه المادة خلال شهرين.
7. يرسل الكاتبُ نسخةً من سيرته الذاتية المختصرة، وصورةً شخصية، ورقمه الوطني، إذا كان أردنيًّا، ورقم حسابه البنكي إذا كان من خارج الأردن.
8. ترتيب المواد في المجلة يخضع للأسس الفنية، والرؤية الإخراجية، ومحتوى المادة، ولا علاقة لذلك بجودتها أو قيمتها العلمية، ولا بمكانة الكاتب.
9. تعتذر المجلة عن عدم نشر أي مادة سبق نشرها في أي فضاء، وينطبق ذلك على المواد قيد النشر، على أن يقدم الباحث إقراراً بأن المادة لم تنشر من قبل
10. لا يجوز إعادة طبع أو نشر أي مادة نشرت أصلًا في «الفنون الشعبية» منذ صدورها وبأي شكل دون إذن خطّيّ من الكاتب الأصلي أو/و موافقة الجهات المختصة بالمجلة.
11. المواد المنشورة تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلة أو وزارة الثقافة.
12. يُمنحُ الكاتب مكافأة مناسبةً عن المادة التي تُنشر وفق الأنظمة المالية في وزارة الثقافة.

المراسلات: تُرسل المواد إلى رئيس التحرير: أ.د. هاني هياجنه

على العنوان الالكتروني hani@yu.edu.jo أو hani.hayajneh@gmail.com - الموبايل: 00962777462098

أو سكرتير التحرير amani.abuhamore2010@yahoo.com - funoun.shabiyya@culture.gov.jo



لوحات الغلاف الخارجية : مديرية التراث

المحتويات


٣٥٠ ريال
٣٥٠ ريال



الأدب الشعبي

تداخل بعض أنواع التراث الشعبي في نداءات الباعة

محمد ناسمي*

يتميز التراث الشعبي بضمه مواضيع وفروع متعددة، وإن كانت أغلب البحوث والدراسات تحاول التخصص في موضوع معين مثل الحكاية الشعبية، الأغنية الشعبية...، إلا أن هذا لم يمنع من وجود تداخل وترابط بين فروع التراث الشعبي المختلفة، والتي أصبحت معالمها تتضح اليوم أكثر من أي وقت آخر، فنداءات الباعة التي هي موضوع هذه الدراسة رغم أنها تصنف ضمن الأدب الشعبي فهي تنسج علاقات متعددة مع باقي أشكال التراث الشعبي ما يترتب عنه من تكامل فيما بينها، ويبدو أن لا مستقبل للدراسات في التراث الشعبي دون إدراك لأهمية هذه العلاقات البينية بين ميادينه.

إن المتأمل في نداءات الباعة التي يوظفها الباعة للترويج والدعاية بها لسلعهم، يكتشف تعددا وتنوعا في أشكال صياغتها، وعدم جمودها وتصلبها في نمط واحد، نظرا لتداخلها وتأثرها بأنواع أخرى من التراث الشعبي لدرجة تتلاشى معها الحدود والضوابط بين نداءات الباعة وهذه الأنواع التراثية مثل؛ (الأمثال الشعبية، الحكاية الشعبية، الفكاهة الشعبية...)، وهو ما تحاول هذه الدراسة الكشف عنه عبر تحديد درجة التداخل بين نداءات الباعة وهذه الأنواع من التراث الشعبي والوقوف على حجم العلاقات التي تنسجها معها.

بين نداءات الباعة والمثل

حاولت جميع التعاريف التي قدمت للأمثال التركيز على خصائصها، وأهمها: إيجاز اللفظ من خلال سهولة ألفاظها وقصر جملها حتى يسهل حفظها، والجمالية في التعبير فهي نهاية البلاغة وهو ما يزيد الكلام وضوحا وجمالا، إضافة إلى إصابة المعنى، ويقول ابن المقفع في ذلك «إذا جعل الكلام مثلا، كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث»١، وهذه الخصائص نجدها لا تقتصر على الأمثال وحدها «وإنما تتعداها إلى أشكال أدبية أخرى»٢، ومنها نداءات الباعة والتي يشترط فيها كي تعتبر من الأدب الشعبي أن تتوفر فيها البلاغة والإجادة وطلاوة الأسلوب كما ذكر في ذلك رشدي صالح، إضافة إلى خاصية الإيجاز في اللفظ، وهو ما جعلنا نلتمسه في مجموعة من نداءات الباعة التي يجري استعمالها في الأسواق الشعبية، كما توضحه النماذج التالية:

١. وبالي قبل ما يسالي (الباعة المتجولين عامة).
٢. الريكالوا الريكالوا الغلا والوا (الباعة المتجولين عامة).
٣. الريباخا الريباخا (الباعة المتجولين عامة).
٤. سلعة الشمال بلا ثمان والمرأة (بائع المنتوجات المهربة من مدينة سبتة).
٥. روني وخلطي وشفري والى حصلتي تخلصي (بائع الملابس المستعملة).
٦. واش هاذا رخا ولا دوخا (الباعة المتجولين عامة).
٧. وموسكا بنان آ حنان (بائع الموز).
٨. ماكلة ودوا (بائع الرمان).
٩. وكول عادا كول (بائع الفواكه).
١٠.والموس عاد الفلوس (بائع البطيخ).
١١.شيشاوة الما والحلاوة (بائع البطيخ).
١٢.وخوخة ولوزة (بائع الخوخ).
١٣.واا عامرة وثامرة (بائع الجلبان).
١٤.واكيلوا على كيلو أو ليبغيتوا نديروا (بائع الخضر).
١٥.وسخون أو فيه الكامون (بائع خبز الشعير).
١٦.وديال دابا وديال دابا (بائع الحلويات).
١٧.والحلاويات آلعيالات (بائع الحلويات).٣

* باحث في توثيق التراث الشعبي/ المغرب

وإذا كانت الأمثال الشعبية تعرف تعددا وتنوعا في مواردها، الذي منه «ما هو مقتبس في معناه من آية من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو المثل الفصيح، أو ما هو محرف في لفظه من المثل الفصيح أيضا، كما أن منه ما يعتمد في معناه على أحداث تاريخية واجتماعية معينة»٤، فإن التقارب الذي رأينا بين الأمثال الشعبية ونداءات الباعة جعل منها أن تكون موردا من موارد الأمثال الشعبية المغربية، وبذلك تضرب في حالات ومواقف متجددة، وهو ما يفسر شيوع وذيوع عددا من نداءات الباعة بين الناس، وتوسلهم بها كأمثال شعبية.

بين نداءات الباعة والحكاية الشعبية

«بسم الله توكلنا على الله البايع يربح والشاري يربح، من صلى على الأمير الزعيم حتى هو يربح، آشرفا الزينين غادي نتكلمو معكم آ سيدي على واحد السبعة القاضيات، هاد السبعة القاضيات كاينين عند المغاربة كاملين آ جماعة، وهاد السبعة القاضيات آ سيدي غادي نتكلمو فيها معكم إذا خلصتونا برحمة الوالدين (يرد الحاضرين: بالله يرحم بها الوالدين)، آ سمع آسمع وهيا لي قالك آ سيدي ما كاينش الدوا ما كينش العشاب في البلاد كاين آبني عمي، آبيبه لي بغا يدير الوقاية وبغا يداوي الذات ديالوا، من هاد السبعة القضيات كاين واحد القضية تيتشكا منها بزاف الناس وهي البرودة، اللي تيتشكا منها بزاف البشر يرزقنا ويرزقكم السلامة ديال الله، كاين اللي عندو خمسة السنوات كيصلي جالس، وكاين اللي عندو خمسة السنوات ما يقدرش يمشي طريق بعيدة إيبه كيبغي يمشي للحانوت يضرب زوج خطوات يجلس نص ساعة، وليني هاد القضية خرجو ليها واحد الباكية الاسم ديالها، آشنو هو الاسم ديالها هو (الوفيرا)، وليني هاد الوفيرا هي مصنوعة من واحد العشبة فين تتنوض هاد العشبة يا بني عمي تتنوض في إقليم ديال الصحراء، ولكن هاد العشبة منين تتنوض في إقليم ديال الصحراء آش تديرو ليها آ جماعة، تشدوها هادوك صحراوا تبيعوها للكيلو إيبه تبيعوها للكيلو، تيجمعها شي واحد وتديها للدول الأوربية، تخرجو منها هاد البومادا، هاد البومادا آبني عمي صالحة مية بالمية لهديك القضية ديال البرودة، دابا كاع لي فيه البرودة هناه الله دابا، الفتوح ديالها قليل ونفعها كثير آ جماعة، لي بغا شي باكية يعطيني عشرة دريهمات براكة عليكم، واللي داها وحطها في الدار، بحال لعندو طبيب في الدار»٥.

مما يسترعي الاهتمام في هذا النوع من نداءات الباعة هو تعدد العناصر المشتركة بينه وبين الحكاية الشعبية، والتي تتضح معالمها في عدة مستويات.

فالباعة المتجولون مثل (العشابة، وممتهني الطب الشعبي...) الذين يعتمدون على هذا النوع من النداءات تجدهم يتقاسمون نفس فضاءات وأماكن العرض، التي يمارس فيها الحكواتيون فن الحلقة؛ كالأسواق الأسبوعية، والساحات العمومية، وفضاءات مواسم الأولياء...، ونجد أثناء عرض سلعهم يتحلق الزبائن حولهم على شكل دائرة مغلقة، يتوسطها هنا البائع الذي يقوم بالدعاية لسلعته وإشهارها باختلاق حكاية مستعينا في ذلك بعدة إكسيسورات (صور لأعضاء بشرية، صور لحالات متقدمة من المرض، عينات نباتية وحيوانية...)، لإعداد وتهيئة نفسية الزبائن أكثر لسلعته، كما يمكن أن يقوم بتجارب على أحد مرافقيه أو شخص ينتخب من المتفرجين لتكسير رتابة السرد، ومن جهة أخرى لكسب الثقة أكثر في سلعته، ويظهر أن هذا الشكل من نداءات الباعة يتجاوز هنا حدود الإشهار إلى السرد والتمثيل.

إن استجلاء العلاقة بين الحكاية الشعبية ونداءات الباعة لا تتوقف عند مستوى الشكل وإنما تتعداه إلى النص، وأول ما يشد انتباهنا في المشترك بين النصين هو الافتتاحية التي تتميز بها الحكاية الشعبية، والتي «استطاعت أن تفرض ذاتها وتتحول إلى تقليد فني إلتزم به السرد العربي القديم عالما كان أو شعبيا»٦، ولم يشذ عنها أيضا هذا النوع من نداءات الباعة حيث نجد أول ما يفتتح به البائع جملة قصيرة ونمطية (بسم الله توكلنا على الله البايع يربح والشاري يربح، من صلى على الأمير الزعيم حتى هو تربح)، كما لم يتم إغفال الاختتامية التي هي الأخرى تتميز بها الحكاية الشعبية، وتؤدي لها عدة وظائف أهمها الإعلان عن نهاية الحكي، لكن الاختتامية هنا يحاول البائع من خلالها إغراء الزبائن بعرض ثمن سلعته الزهيد وإظهار منافعها المتعددة والكثيرة، (الفتوح ديالها قليل ومنافعها كثيرة آ جماعة، لي بغا شي باكية يعطيني عشرة دريهمات براكة عليكم، واللي داها وحطها في الدار، بحال لعندو طبيب في الدار).

وبين الافتتاحية والاختتامية يسرد البائع حكاية إطارية عن عدد من الأشخاص الذين يعانون من مرض الروماتيزم، وتشكل حالاتهم مراحل متقدمة من المرض، بعدها تتفرع عنها حكاية

فرعية تدور حول كيفية العلاج من خلال مرهم (الوفيرا)، والحكي عن أصل هذا المرهم وكيفية ومراحل تصنيعه.

بين نداءات الباعة والفكاهة الشعبية

يحاول عدد من الباعة المتمتعين بحس فكاهي التسويق لبضاعتهم بالضحك والابتسامة والسخرية، مدركين في ذلك أن ما يمكن بيعه وتسويقه عبر مواقف فكاهية أكثر ما يمكن بيعه بالجد والصرامة، وهو ما يجد فيه هؤلاء الباعة راحة البال والاستمتاع بتجارتهم، ومن جهة أخرى ربط نوع من الثقة والألفة والاطمئنان بينهم وبين زبائنهم، و«ممارسة التحكم في سلوك[هؤلاء الزبائن] عن طريق السخرية مثلا أو عن طريق الاهتمام، وإزالة الخوف، والتشجيع من خلال تجاوز الرسميات»٧ بهدف الدفع إلى القيام بعملية الشراء.

فتكون لهم بذلك القدرة على إبداع نداءات ذات صبغة فكاهية لإشهار سلعهم ودعاية لها، وتتعدد نماذج هذا الشكل من النداءات، ومنها نداء يستعمله بائع الشكولاطة في حافلات النقل العمومي مثلا :

- من يأكل الشكولاطة، من يقرمش أسنانه.
- خوذوا الشوكلاط اللي تزيد في العمر، وتطول في الشعر، وتزيد في النظر.
- خوذوا الشوكلاط وحدة بعشرة (ريال) وثلاثة بدرهم.

عند عدم رغبة الزبائن في الشراء

صافي مابغيتوش تشريو شكولاط حتى أنا صافي أنقلب مها طلبة، منين نبغيو نترزقو الله ما تبغيوش تشريو، منين نقلبوها طلبة لا آوليدي سير دير بيعة وشرية، حتى أنا دابا آ نقلبها طلبة، دابا آ تشريو ولا لا، [في حالة من المزاح مع الزبائن من ركاب الحافلة].٨

ويظهر أن هذا النوع من نداءات الباعة هو شديد الارتباط بشخصية البائع، الذي يجب أن يتمتع بالقدرة على الإضحاك وخلق التسلية، وانتزاع المتعة من خصائص سلعته (الشكولاطة) عبر المبالغة في منافعها السحرية والخارقة، أو باقتناص بعض عيوب الزبائن وإظهار كيف يمكن للشكولاطة علاجها، وحتى بالضغط على الزبائن بتخيرهم بين الشراء منه أو العودة إلى التسول والتي لا تخلو أيضا من فكاهة وتسلية، فإبداع البائع هنا يقوم على المرونة وعدم التصلب بتغيير طرائقه وأساليبه بما يتلاءم مع المواقف داخل الحافلة.

بين نداءات الباعة والشعر الشعبي:

يفضل عدد من الباعة المتجولين ممن لهم الموهبة والقدرة الأسلوبية واللغوية إلى إنتاج نداءات على شكل قصائد من الشعر الشعبي، معتمدين في ذلك على الكلمة العامية المنطوقة والموزونة، وتشبيهات وصور تغرف من البيئة المحلية والواقع المعيش، وبصفة عامة على لغة تقوم على المرونة والقدرة على التكيف، ومن هذه النداءات نجد ما يستعمله بائع التوابل أو ما يسمى بالعطار في مناسبة عيد الأضحى.

- العطرية جديدة ديال البرميطة
- ديال الحولي لي بالقرون ديالو
- آييه العطرية لتطحن مباشرة
- الكمونة لي عليها لامونة
- القرفة اللي دار في المرقة
- الخرقوم وما دار ليوم
- بزار دكار لا غبرة لا مزرار.٩

فالبائع هنا يتحول إلى شاعر بينما الزبون إلى متلقي، يخاطبه بكلام منظوم من حرف ولفظ، وتكون سلعته بمثابة نقطة بداية نظم قصيدته أو بناء إرساليته الإشهارية، عبر أبيات شعرية تتميز بالإيجاز والدقة في الإبلاغ والإقناع، وكل بيت يحاول من خلاله البائع عرض مزايا كل نوع من أنواع توابله، بطريقة جمالية تساهم فيها عدة مكونات متوالفة منها المكون المعجمي، والصرفي، والتركيبي، والإيقاعي، والدلالي...، ويتضح هنا أن نداء العطار مثله مثل الزجل لأنه ينطلق « من أعماق حياتنا ويضمن بذلك إعجاب الناس به، لأنه من حياتهم وبلغتهم «١٠، ما ييسر عملية دفع الزبون إلى فعل اقتناء السلعة (التوابل) موضوع النداء.

بين نداءات الشعبية والأغنية الشعبية

يستعين بعض الباعة في الأسواق الشعبية بالموسيقى والغناء الشعبي، لتحريك الزبائن وإغرائهم أكثر على الشراء والاستهلاك، فيعلو صوت الغناء ونغمات الموسيقى على صوت الصراخ، من أجل تهيئة الجو لإيقاد رغبات الزبون، فيتحول هذا الزبون من مشتري عادي إلى مشارك في الأداء، فيبدأ بالتصفيق باليدين لإبداء الإعجاب، ثم إلى التفاعل مع البائع–الفنان، مما يضفي على هذا النوع من نداءات الباعة بعدا جماعيا في الأداء الكل هنا

ينخرط في صناعة الفرجة، ومعه يتحول السوق من فضاء تجاري عادي إلى فضاء لتقديم الفرجة.

وتتعدد نماذج نداءات الباعة التي تتوسل بالموسيقى والغناء الشعبية، ومنها نوع من النداء يستعمله بائع آلات الإيقاع (طعارج) أيام عاشوراء، حيث يُكون فرقة موسيقية من مساعديه يعزف معهم على آلات الإيقاع التي يقوم ببيعها مصحوبة مع أغاني أو أهازيج شعبية مثل:

عَيْشُوري عيشوري دْلِيت عليك شعوري

كِخْيُوطْ جْرارة كِلْموت الغدارة.

كْديدَة كْديدَة ملوية عَ لْعْواد

بابا عَيْشُورْ جا يْصَلِي وْداه الْواد.

هذا عايشور ما علينا لْحْكَامَ آلالة

عيد ميلاد ما يحكموا فيه الرْجالَ آلالة.

وحين لا تتكلم كلمات الأغاني والأهازيج تتكلم نغمات آلات الإيقاع التي يخصص لها البائع حيزا واسعا من ندائه، متعمدا في ذلك إبراز جودة سلعته للزبائن، وأثناء عملية البيع والشراء يرتجل البائع كلمات خارج النص الغنائي حول جودة سلعته وثمنها إلى غير ذلك.

انطلاقا مما سبق فإن دراسة التداخل في التراث الشعبي وتحديد درجات تقاطع فروعه وتكاملها، من أهم الموضوعات التي على الباحثين خوض مغامرة البحث فيها، ومعه تجاوز الرؤى التحليلية الأحادية عبر تبني رؤية بينية تنفتح أكثر على مناهج ومفاهيم باقي فروع التراث الشعبي المختلفة، وهو ما خلصنا إليه في دراسة نداءات الباعة التي يتطلب دراستها وتحليلها الأخذ بناصية الحكاية الشعبية والأمثال والفكاهة الشعبية...، وغيرها من فروع التراث الشعبي.

الهوامش:

١. فؤاد علي رضا، أمثال العرب، دار العودة، ط١، بيروت، ١٩٧٩، ص١٣.
٢. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط١، دار النهضة مصر، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٣٩.
٣. جمع وتوثيق ناسمي محمد، الأسواق الشعبية لبعض أحياء مدينة الدار البيضاء، ٢٢-٢٥/٠٥/٢٠١٥.
٤. الدليشي عبد اللطيف، الأمثال الشعبية في البصرة، ط١، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٢، ص ٦.
٥. مقابلة ميدانية:امبارك ريحاني، السن ٤٥ سنة، عشاب وبائع أدوية، ثلاثاء سيدي بنور، يوم ٢٠١٥/٠٣/١٢.
٦. الجراري حميد، البيئة ودورها في بناء الشكل الفني للقصص الشعبي بالمغرب، ع٣٠، المنامة، صيف ٢٠١٥، ص ٨٢.
٧. شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، عالم المعرفة، ع ٢٨٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ٢٠٠٣، ص ٢٥٧.
٨. بحث ميداني، بائع الشكولاطة بحافلات النقل العمومي، الدار البيضاء، يوم ٢٠١٤/٠٥/٢٣.
٩. مقابلة ميدانية: عزيز دنون، عطار، السن ٤١ سنة، السوق الأسبوعي خميس الزمامرة، ٢٠١٦/٠٦/٠٢.
١٠. بن عتو عبد الله، طرق الصوغ في الزجل المغربي تأملات نظرية ونصية، ع ٣٢، المنامة، شتاء ٢٠١٦، ص ٨٣.

المراجع:

١. بن عتو عبد الله، طرق الصوغ في الزجل المغربي تأملات نظرية ونصية، ع ٣٢، المنامة، شتاء ٢٠١٦.
٢. الجراري حميد، البيئة ودورها في بناء الشكل الفني للقصص الشعبي بالمغرب، ع٣٠، المنامة، صيف ٢٠١٥.
٣. الدليشي عبد اللطيف، الأمثال الشعبية في البصرة، ط١، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٢.
٤. شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، عالم المعرفة، ع ٢٨٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ٢٠٠٣.
٥. فؤاد علي رضا، أمثال العرب، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.
٦. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط١، دار النهضة مصر، القاهرة، ١٩٧١.